مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
مؤتمر اللغة العربية وآدابها الدولي الثاني // أربيل 30 - 31 / 7 / 2025
doi.org/10.52866/esj.2025.03

أثر الظواهر الصوتية في الأساليب النحوية ودلالاتها (دراسة في ضوء علم اللغة الحديث)

م.د. هبة فائق فاضل
كلية الإمام الأعظم/قسم أصول الدين/ديالى

مستخلص:

يتناول هذا البحث أثر الظواهر الصوتية من مثل، الوقف، والتنغيم، والفاصلة القُرآنية في الأساليب النحوية للغة العربية، وكيف تسهم هذه الظواهر في توجيه المعاني وتوضيح الدلالات. يظهر من خلال البحث أن كثيرًا من التراكيب النحوية لا يُفهم معناها على الوجه الصحيح إلا بمراعاة الظواهر الصوتية الملازمة لها، فمثلًا الوقف قد يغيّر المعنى المقصود، والنبر يميز بين الاستفهام والخبر، والإدغام يسهم في اتساق اللفظ وسهولته. وهكذا يتضح أن الصوت ليس تابعًا للنحو فقط، بل شريك أساسي في بناء المعنى.

الكلمات المفتاحية: الظواهر الصوتية، الوقف، التنغيم، الدلالة النحوية .

The Impact of Phonetic Phenomena on Grammatical Styles and Their Semantics (A Study in Light of Modern Linguistics)

Dr. Hiba Faiq Fadel
Imam Al-A'dham College / Department of Fundamentals of Religion /Diyala
aldlymydhbt@gmail.com

Abstract :

This research examines the impact of phonetic phenomena such as pauses, intonation, and the Quranic comma on the grammatical structures of the Arabic language, and how these phenomena contribute to directing meanings and clarifying connotations. The research demonstrates that many grammatical structures cannot be properly understood without taking into account their associated phonetic phenomena. For example, pauses may alter the intended meaning, stress distinguishes between questions and statemens, and assimilation contributes to the coherence and ease of pronunciation. Thus, it becomes clear that sound is not only a function of grammar, but also a fundamental partner in constructing meaning..

Keywords: Phonetic Phenomena, Pause, Intonation, Grammatical Semantics.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا مُحَمَّد ﷺ..

أما بعد: فاللغة العربية من اللغات التي تتسم بثرائها عن طريق تكامل مستوياتها؛ اذ يرتبط مستواها الصوتي مع المستويات الثلاثة (الصرفية والنحوية والدلالية)، ومن هذه الرؤية فلا يمكن دراسة النحو بمعزل عن الصوت اللغوي؛ لأنَّه المستوى الذي يستند إليه النحو لاسيما بتشكّل الألفاظ ونطق الحركات وانتقالها بين السياقات، وقد أدرك النحويون القدماء هذا الجانب واولوه عناية كبيرة فكانوا يدركون أن للفظ اثرًا يتجاوز النطق ويتعداه إلى تحديد الملامح الدلالية . ومع تطور الدراسات اللغوية واندماج علم الفونولوجيا مع التحليل النحوي أصبحت الحاجة ملحة جدا لإعادة النظر في دراسة النحو العربي، وذلك عن طريق ربطهِ بالتحولات الصوتية التي تتكون نتيجة النطق فعلى سبيل المثال فإن نطق كلمة بصيغة مشددة أو مخففة أو تقديم حركة على أخرى قد يحول الكلمة من فاعل الى مفعول به ومن صيغة الماضي الى المضارع، مما يدل على أن الصوت ليس مكملا للنحو فحسب إنما هو جزء لا يتجزأ داخل المنظومة النحوية.

وبناء على ما تقدّم فإنَّ البحث يتوخى فكرة دراسة الأثر الذي يخلّفه الصوت في المستوى النحوي، ويتخذ من جهد علماء العربية القدماء منطلقا ومفيدا من المنجر العملي المتحقق في الدرس اللغوي الحديث، وستكون المواضع التطبيقية للدراسة مجسدة لهذا المفهوم، وهي محاولة أوليّة للكشف عن مدى تعالق الصوت بالنحو والأثر المتوخى في الجانب الدلالي .

وقد اقتضت منهجية البحث تقسيمه على ثلاث مباحث مسبوقات بمقدمة ومقفوات بخاتمة وكان عنوان المبحث (أثر الوقف في بعض المواضع النحوية) والمبحث الثاني(أثر التنغيم في بعض الأساليب النحوية) والمبحث الثالث(أثر الفاصلة القُرآنية في بعض الموضوعات النحوية).

واسأل الله تعالى ان يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم والحمد لله ربّ العالمين.

المبحث الأول: أثر الوقف في بعض المواضع النحوية

يعد الوقف من احدى القرائن الصوتية الموقعية البارزة التي لها قيمة في المستوى اللغوي ولا سيما النحوي وقد تباين العلماء في تعريفه فقد عرفه علماء القراءات بأنه: ((عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنًا يتنفس فيه عادة بنية إستئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله لا بنية الإعتراض، ويأتي في رؤوس الأيات وأوسطها، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسمًا، ولابد من التنفس معه))[1]

أَمَّا الوقف في اصطلاح النحويين فهو البناء على السكون قال سيبويه: ((وهي تجري على ثمانية مجارٍ على النصب، والجر، والجزم، والفتح، والضم، والكسر، والوقف))[2].

أَمَّا المحدثون فقد عرفه بعضهم بأنه: ((مكون تركيبي مساير للألفاظ وطرق أدائها، ويتجسد فيه الزمن أداة تنظيمية تقنينية للأصوات اللغوية، ويمثل بعدًا فونولوجيًا انجازيًا متحكمًا في كثير من

(1) النشر في القراءات العشر: 240/ 1.
(2) الكتاب: 13/ 1.

الوظائف التركيبية في اللغة))[1].

وينبغي الربط بين الوقف وبين مصطلح آخر قريب منه وهو مصطلح (السكت) فالسكت هو: قطع الصوت زمنًا يسيرًا على الكلمة من غير نفس بنية إكمال القراءة[2].

ويختلف السكت عن الوقف في مدة زمن السكتة على الكلمة، فيسكت على الكلمة زمنًا قليلًا أقل من الوقف، فضلا عن ذلك اختلافهما في التنفس، فالوقف يصحبه تنفس والسكت لا يصحبه تنفس[3].

وأوضح الدكتور كمال بشر أهمية الوقف في توجيه الخطاب إذ قال: ((إن للتلوين الموسيقي للكلام المنطوق، متمثلا في السكتة والوقفة وما يصاحبهما من نغمات مختلفة دورًا فاعلًا في تصنيف الجمل والعبارات وتوجيه إعرابهما))[4].

ويمكن توضيح تأثير الوقف في الدلالة النحوية التي يحدث بوساطتها تغييرًا من على النحو الآتي:

1. تغيير العلامة الإعرابية:

حينما يقف المتكلم على كلمة معينة يؤثر ذلك في إحداث تغييرات في أواخر الكلمة وهذا التغيير من شأنه أَنْ يحدث تغييرًا في الدلالة النحوية للعلامة الإعرابية ومن ذلك ما ذكره الدكتور عبد الله الأنصاري في أن حذف العلامة الإعرابية لفظا مثل (هذا محمد) و(مررت بزيد) و(كتبتُ بالقلم) نوع من أنواع التأثير الصوتي المتعلق بحذف حركة الإعراب وما يترتب عليه من معاني ويكون التأثير ايضا عن طريق مطل حركة الإعراب مثل(رأيتُ أحمد) ويرى أن الوقف يظهر الحركة الطويلة التي اختزلها الوصل مثل: (هؤلاء معلمو المدرسة) فهي في الوصل مقصرة[5].

فتغيير العلامة الإعرابية من حركة الى سكون بفضل الوقف، وكذلك مطلها أيضًا وظهور الحركات الطويلة كلها تجعلنا نفهم أن الوقف يعامل معاملة الحركة وهذا خلاف الأصل؛ لأنَّ أساس الوقف هو السكون والسكون هو عدم الحركة وهذا من شأنه ان يحدث تغييرًا شاملًا في بنية الكلمة فمن شأن ذلك أَنْ يؤثر في دلالة الكلمة ومن الممكن ايضا أن يستقيم بها معنى لم يكن واضحا قبل الوقف ومن هنا يتضح تأثير هذه الظاهرة في المستوى النحوي .

2. الأوجه الإعرابية المتعددة بسبب تغيير موقع الوقف في الجملة:

إِنَّ تغيّر موضع الوقف في الكلمة الواحدة يؤدي إِلى تغيّر إعراب الكلمة أو الجُملة بأكملها، وهذا الجانب الآخر الذي تحدثنا عنهُ من أَنَّ الوقف يغير المعنى المراد للكلمة الواحدة، ومن ذلك مثلًا قوله تعالى: ﴿قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 88]، فقد ذكر الدكتور عبد الله الأنصاري أن للوقف أثرا في تغيير أعاريب الكلمة، وذلك عن طريق تغير مواقع الوقف، فإذا وقف على (بكفرهم) يكون نصب (قليلا)، على أنه نعت لمصدر محذوف، أي فإيمانًا قليلًا، أو نعت لمصدر محذوف، أي (إيمانًا قليلًا)، أو نعت لزمان محذوف، أي (فزمانًا قليلًا) يؤمنون، وإذا لم يوقف على (بكفرهم) فيكون (قليلًا) يؤمنون، وإذا لم يوقف على (بكفرهم) فيكون (قليلا) حال من فاعل (يؤمنون)[6] فنلحظ تغيير الوجه الإعرابي للفظة

(1) القرينة الصوتية في النحو العربي: 285.
(2) ينظر: نهاية القول المفيد: 153.
(3) ينظر: المحيط في أصوات العربية: 116-115/ 1.
(4) علم الأصوات: 564 .
(5) ينظر: القرينة الصوتية في النحو: 311.
(6) ينظر: القرينة الصوتية في النحو: 312.

الواحدة بحسب موقع الوقف، وتجدر الإشارة - هنا - إلى أَنَّ هذا الوقف وقف اختياري؛ أي يقدّر من لدن المتكلم؛ للخروج بوجهٍ إعرابي خاص به، وقد يكون هذا الوجه مخالفًا للأصل الإعرابي الذي من الممكن أَنْ تكون عليه هذه اللفظة.

وقد وردَ عند العكبريّ (ت616هـ) أَنَّ (((قليلًا): منصوب صفة لمصدر محذوف، و(ما): زائدة؛ أي: فإيمانًا قليلًا يؤمنون، وقيل: صفة لظرف؛ أي (فزمانًا قليلًا يؤمنون)...، وقيل: (ما) نافية؛ أي: (فما يؤمنون قليلًا ولا كثيرًا)))[1].

وَمِمَّا يختلف إعرابهُ ومعناه بحسب موقع الوقف فيهِ أيضًا قوله تعالى: ﴿ألم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2-1]؛ فإذا وقف القارئ ثلاث وقفات: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يكون الإعراب على وفق هذهِ الوقفات الثلاث، أَنَّ (ذلك الكتاب): مبتدأ وخبر، و﴿لا ريب فيه﴾: جُملة من (لا) واسمها وخبرها، وهي في محل رفع خبر ثانٍ للمبتدأ (ذلك)، وجُملة ﴿هدى للمتقين﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو)، أَمّا إذا ما لم نقف سوى وقفتين ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يكون ذلك مبتدأ، و﴿الكتاب﴾: بدل، وجُملة: ﴿لا ريب فيه﴾: في محل رفع خبر، والاتصال الصوتي بين هاتين الجملتين من التغيّر الإعرابي والدلالي ما لا غموض فيهِ[2].

3. أثر الوقف في كسر همزة (إِنَّ) وفتحها:

تأتي الأداة (إِنَّ) تارة بفتح الهمزة وتارة أُخرى بكسرها، ويكون هذا الأمر بحسب السياق الذي ترد فيه، وتعدّ ظاهرة صوتية نحوية متعددة، ويرى المحدثون أَنَّ للوقف تأثيرًا كبيرًا في فتح همزة هذهِ الأداة وكسرها؛ وذلك لأَنَّهم يتصورون أَنَّ همزة (إِنَّ) في حالة الكسر توجد قبلها وقفة خفيفة؛ ما يؤدي إلى كسرها، في حين يكون هناك وصل نطقي بين المفتوحة والكلام الذي قبلها، وقد قال الدكتور أحمد كشك في هذا الشأن: ((الوصل السكت هنا وهما دلالتان تنغيميتان أمرًا مهمًا لفهم عدد من الأمور المتصلة بهذا الموضوع؛ لأَنَّنا نتصور حين كسر همزة (إِنَّ) وجود سكتة قبل (إِنَّ) المكسورة، على حين إِنَّنا ندرك أَنَّ هنالك وصلًا نطقيًا بين (أَنَّ) المفتوحة وما قبلها))[3].

فجانب الكسر في همزة (إِنَّ) وفتحها أَخذَ جانبًا مغايرًا لما ذكرناه سابقًا من تأثير الوقف في العلامة الإعرابية وتوجيه الإعراب؛ بل سيكون لَهُ تأثير في كسر همزة (إِنَّ) وفتحها، وتقدير هذا الوقف من لدن المتكلم، ورؤية الدكتور أحمد كشك والمتمثلة بوجود سكتة خفيفة تسبق همزة (إِنَّ) لا تخلو من التأثير الصوتي النحوي؛ إذ لا يمكن تطبيق هذا في النطق والشعور به عن طريق الملاحظة العادية؛ فمثلًا قول الشاعر[4]:

حَذَّرتهم وَعرَفْتُ ذَنبي أَنَّني
عَيْرْتَهم فلقيتُ مِنْهُم ما لَقُوا

قال الدكتور أحمد كشك: ((لو وقفنا على (ذنبي) لكُسرت همزة (إِنَّ) وأصبح ما بعدها استئنافًا، ولو وصلنا لَفُتِحَتْ همزة (إِنَّ)، وكان المصدر بعدها بدلًا من قوله (ذنبي)))[5].

فنلحظ أَنَّ قضية فتح همزة (إِنَّ) وكسرة تتوقف على أداء المتكلم في هذهِ الوقفة؛ فإذا وصل الكلام فتحنا الهمزة، واذا وقف الكلام كسرنا الهمزة، وهذا الذي دعا الدكتور أحمد كشك إلى القول:

(1) التبيان في إعراب القُرآن: 90/ 1.
(2) ينظر: التفكير اللّغوي بين القديم والجديد: 290-291.
(3) من وظائف الصوت اللّغوي: 105.
(4) ديوان المتنبي: 333/ 2.
(5) النحو والسياق الصوتي: 246.

إِنَّنا نتصور السكتة الخفيفة قبل الهمزة فتؤدي إِلى كسرها.

ويرى الدكتور كمال بشر أَنَّ للوقف أثرًا فونيميًا في الفتح والكسر مع (أَنَّ)؛ إذ قال: ((تأتي الأداة (إِنَّ) بكسر الهمزة في سياقات معينة، وفتحها في سياقات أُخرى، حدد النّحاة مواقع كُلّ من الحالتين على وجه يناسب كيفيات التراكيب التي تتضمنها؛ ولكن فاتهم أَنْ يشير إِلى دلالاتها الصوتية، وإِلى ما يرمزان إليه من فصل (ممكن) أو وصل حتمي في سلسلة المنطوق))[1]. وهذا يؤيد مذهب الدكتور أحمد كشك)

ولا بُدّ من الإشارة إِلى أَنَّ كسر همزة (إِنَّ) وفتحها بتأثير الوقف لَهُ أثر كبير في تغيير دلالة اللفظة الواحدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 171]؛ ففي حالة الوقف عند (إِنَّ)؛ أي إذا قُطعت الجُملة المؤكدة بأنْ كسرت الهمزة وهي قراءة الكسائي[2]، وصارت الجُملة في حالة استئناف، وفي هذهِ الحالة سيكون هناك تغيير في معنى الآية، أَمّا في حالة الوصل على (إِنَّ) فتفتح همزة (إِنَّ) ولا تكسر، يكون المعنى في حالة القراءة بالوصل، أَنَّهم يستبشرون بثلاثة أمور: نعمة الله، وفضل الله، وعدم إضاعة الله لأجر المحسنين[3].

يتضح أَنَّ الوقفة قبل همزة (إِنَّ) وتقديرها من لدن المتكلم لم تؤثر في كسرها وفتحها فحسب؛ بل أدى ذلك إِلى تغيير الدلالة التي تؤديها اللفظة الواحدة، وهذا من شأنهِ أَنْ يضيف إثراءً لغويًا للّغة العربيّة، ويعطيها مرونة أكثر من فهم المراد من الجُملة الواحدة،

وكذلك يمكن توجيه القراءة الواردة بكسر همزة (إِنَّ) في قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: 10]، وقوله تعالى: ﴿فاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران: 10]؛ إذ قرأ عيسى بن عمر بكسر همزة (إِنَّ) في الآيتين[4].

ولا يمكن تفسير ذلك إِلَّا بتقدير سكتة فاصلة في النطق، وذلك قبل (إِنَّ) التي جاءت مع مدخولها بيانًا وتوضيحًا لمضمون الدعاء في الآية الأولى، والاستجابة في الثانية حالة الوقف (فدعا ربّهُ – إِنَّي مغلوب فانتصر) كسر همزة (إِنَّ) حالة الوصل (فدعا ربّهُ أَنَّي مغلوب فانتصر)، فتح همزة (إِنَّ) وهي الأشيع والأشهر[5].

فالوقف يحدد هل ممكن أَنْ تكسر همزة (إِنَّ) أم لا؟ أَمّا إذا جاز الأمران في الهمزة – أي الفتح والكسر – فإِنَّهُ لا إدراك لهما ولا تحديد لأحد الاحتمالين، إِلَّا بناءً على السكتة التي تكون بوساطتها فصلًا أَحيانًا، ووصلًا أَحيانًا أُخرى.

4. أثر الوقف في الجمل الانفعالية:

أَمّا الموضع الآخر الذي نلحظ تأثير الوقف فيهِ فهو (الجمل الانفعالية)، التي يُراد بها: ما يُعبّر بهِ المتحدث عن مشاعرهِ وأحاسيسهِ عند تأثرهِ بموقف معين يُثير فيهِ انفعالات عاطفية خاصة، مثل: التعرض للخطر، وعند الاستغاثة، والندبة، والدعاء، والتعجب، ونحو ذلك، سواء أكانت هذهِ الانفعالات سارة أم مؤلمة، ويُطلق على المعنى

(1) علم الأصوات: 571.
(2) ينظر: معاني القراءات: 113، ومنار الهدى: 196.
(3) ينظر: التذكرة في القراءات: 228، وعلم الأصوات: 570، والوقف ووظائفهِ عند النحويين والقراء (بحث): 94.
(4) معاني القُرآن وإعرابه، الزجّاج: 5/ 87، وإعراب القُرآن، النّحاس: 1/ 195، ومعجم القراءات: 1/ 647، 9/ 220، 221.
(5) ينظر: علم الأصوات، د. كمال بشر: 559–560.

في مثل هذهِ الحالات، المعنى التعبيري أو معنى المقام[1].

فالكلام الحي لا ينفصل عن الموقف الذي يكون فيهِ وما يُلابس ذلك من حركات باليد، وتعبير بالوجه، وعلو في الصوت أو انخفاضه، وغيرها من مُلابسات الحال؛ حتّى لو حذف شيء من الكلام كانت تلك الملابسات مغنية عنهُ ومومئة إليه[2]؛ فغالبًا ما يصاحب المواقف الانفعالية اختصارًا في الكلام؛ إذ المقام الذي يكون فيهِ ليس مقام إطناب، لاسيّما في الخطر، وهذهِ الجمل تبقى غير مفيدة وعديمة الجدوى، إلَّا إذا قدرناها على وقفات وسكتات، وهنا يأتي أثر الوقف في هذه المسألة، وقد أوضح الدكتور محمد خليل ذلك بوساطة مثال؛ إذ قال: ((قد نسمع شخصًا يرى طفلًا يتعرض لخطر مركبة معينة مسرعة؛ فيصبح (الولد.. السيارة.. أحمد.. أخوك.. يا الله.. الحمد لله)، هذهِ الكلمات المتقطعة تحكي مشهدًا انفعاليًا معينًا ولا يمكن فهمهُ إلَّا إذا قدرنا وقفات أو سكتات بين هذهِ الكلمات، وسيكون التقدير حينئذٍ: (الولد معرّض للخطر احذر السيارة يا أحمد، أخوك في خطر، يا الله سلّم، الحمدُ لله سلم الولد) أو نحو ذلك، ولو كتبت هذهِ العبارة أو قرِئت دون تقدير وقف لم يُفهم منها شيء))[3]؛ لذلك ذهب الدكتور كمال بشر إلى القول بأَنَّهُ: ((إذا كانت دراسة أصوات اللّغة المعينة ذات نفع لخدم المعاني على مستوى المفردات، كما في المعجم؛ فإنَّها – بالضرورة – أكثر نفعًا وأبعد قيمة وأهمية في هذا الشأن على مستوى الجمل والعبارات))[4].

فالوقف هنا ساعدَ على توظيف جُملة تعبّر عن المعنى المراد توصيلهِ إلى المتلقي وكساهُ بكساء يناسب ما تخرج عنهُ من دلالات، وهذه إحدى تأثيرات االظواهر الصوتية في النحو، وهو تقدير قرينة صوتية في تركيب معين لبيان المراد منهُ.

مِمَّا تقدّم يتضح أَنَّ موقع القرائن الصوتية يكون بالتقدير أيضًا كما أوضحنا في الوقف وهذا التقدير من شأَنهِ أَنْ يؤثر في الجُملة وفي دلالتها، وقد يخرج بها من دلالة حقيقة إلى أُخرى مجازية.

المبحث الثاني: أثر التنغيم في بعض الأساليب النحوية

يُعَدُّ التنغيم من الظواهر فوق المقطعية التي لها اثر كبير في فهم الكلام، وتوجيه دلالته، ويعد وسيلة إفهام صوتية بوساطتها يتضح تأثيره في بعض المسائل النحوية، والتنغيم هو: ((تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة))[5].

وقد ذهب بعض المحدثين الى أَنَّ القدماء لم يتعرضوا للتنغيم ولم يلتفتوا اليه وان قضية التنغيم عندهم مجهولة تماما؛ إذ قال الدكتور رمضان عبد التواب انه: ((لم يعالج أحد من القدماء شيئًا من التنغيم ولم يعرفوا كنههِ، غير أننا لا نعدم عند بعضهم الإشارات الى بعض أثاره في الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة))[6].

وفي الحقيقة هناك إشارات واضحة لدى القدماء

(1) ينظر: اللّغة العربيّة معناها ومبناها: 372-371، والوقف ووظائفه عند النحويين والقراء (بحث): 372-371.

(2) ينظر: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: 381.

(3) الوقف ووظائفه عند النحويين (بحث): 103.

(4) علم الأصوات: 626.

(5) دراسة الصوت اللغوي: 229.

(6) المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: 106.

بشأن ظاهرة التنغيم لا سيّما عند ابن جنّي فقد قال: ((وقد حذفت الصفة ودلت عليها الحال، وذلك ما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل على الحال على موضعها، وذلك إنك تحس كلام القائل ذلك من التطويح والطريح والتفخيم والتعظيم، مايقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك وانت تحس هذا من نفسك اذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فنقول: كان واله رجلًا، فنزيد في قوة اللفظ بالله هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، اي رجلًا فاضلًا شجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك))[1].

أَمَّا المحدثون فقد اعتنوا كثيرا بهذه الظاهرة، وعرفوها بتعريفات عديدة منها ما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس فقد اطلق عليه مصطلح النغمة فقال: ((إن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد تختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها، ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية))[2].

وأشهر أنواع النغمات[3]:

النغمة الصاعدة: والتي تبدأ بدرجة منخفضة تليها درجة أكثر علوًا.

النغمة الهابطة: وهي التي تبدأ بدرجة عالية، ثم تأتي بعدها درجة أقل منها.

النغمة المستوية: يراد بها وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة، وقد تكون هذه الدرجات كثيرة أو متوسطة أو قليلة.

وظيفة التنغيم:

هناك ثلاث وظائف رئيسية للتنغيم[4]:

– الوظيفة الأصواتية: وهي النسق الأصواتي الذي يستنبط التنغيم.

– الوظيفة الدلالية: فيمكن رؤيتها لا في اختلاف علو الصوت وانخفاضه فحسب، ولكن في اختلاف الترتيب العام لنغمات المقاطع في الأنموذج التنغيمي.

– الوظيفة النحوية: والتي يمكن بوساطتها تحديد بعض الجمل النحوية والمعاني التي تخرج إليها

وتعد الوظيفة النحوية هي الوظيفة الأساسية للتنغيم وتليها في ذلك الوظيفة الدلالية، وذلك لارتباط هاتين الوظيفتين ارتباطًا وثيقًا[5]، ويمكن ملاحظة التنغيم في بعض الأساليب النحوية، وعلى النحو الآتي:

1. حذف أداة الاستفهام والتعويض عنها بالتنغيم:

قد تُحذف أداة الاستفهام والتعويض عنها بالتنغيم، وذلك عند طريق تقدير نغمة توضح المعنى من الكلام المراد قوله؛ فقد ذكر الدكتور محمد حماسة أَنَّ ((النغمة في الجُملة تُعدُّ قرينة من القرائن يتوقف عليها أَحيانًا مدلول الكلام، وقد تغني عن الأدوات، كأدوات الاستفهام مثلًا والكلام المكتوب، مفتقد لهذهِ القرينة؛ ولذلك لجأ النّحاة لبيان ما تحملهُ الجُملة من دلالات؛ وبذلك تتعدد الأوجه الإعرابية))[6]؛ أي إِنَّ التنغيم من الممكن أَنْ يعوض عن هذهِ الأداة، إذا كانت محذوفة، ويفهم عن طريقهِ المراد من القول؛ أي إذا

(1) الخصائص: 372/ 3-2.
(2) الأصوات اللغوية: 103.
(3) ينظر: مناهج البحث في اللغة: 165 والأصوات اللغوية: 258.
(4) ينظر: مناهج البحث في اللغة: 164.
(5) ينظر: علم الأصوات: 542-539.
(6) العلامة الإعرابية في الجُملة بين القديم والحديث: 387.

كان المراد منهُ استفهام أو غيرهِ، ومن ذلك -مثلًا- قول الشاعر[1]:

ثمَّ قالوا تُحِبُّها قُلتُ بهرًا

عَدَدَ النَجمِ والحَصى والتُرابِ

فقد اتجه الشاعر إلى التنغيم، وذلك بدلًا عن أداة الاستفهام، وتقدير علامة (أتحبها)، وتحتمل الجُملة أَنْ تكون خبرية، إلَّا أَنَّ وجود عنصر التنغيم هو الفيصل في توجيه المعنى للاستفهام من دون الخبر[2].

فالجانب الأَوّل الذي أفادهُ التنغيم في هذا الموضع هو تعويضه لأداة الاستفهام، ويكون ذلك على سبيل التقدير، وقد تكون نغمة صاعدة، أو هابطة، أو مستوية تتناسب والحدث الواقع.

وقد يخرج الاستفهام بفعل التنغيم إلى معاني مجازية متعددة؛ فمثلًا: ما ذكره أبو موسى في هذا الصدد بقولهِ: ((وَلأَنَّنا لا نستطيع في كثير من الصور ضبط معنى الاستفهام في شيء محدد نلجأ إلى ذكر جُملة معاني حول الاستفهام الواحد؛ فمثلًا في قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:2] أَنَّهُ إنكار، وتوبيخ، وعتاب، وتعجب، وهذا التعدد دليل على ما نريد أَنْ نؤكدهُ من أَنَّ المعنى الذي يفيدهُ الاستفهام خفي، وسائح، ومتلفت، وإِنَّنا نحاول السيطرة عليهِ بمثل هذهِ الأوصاف الكثيرة الناقصة التي توهم أَنَّها تُحيط بهِ؛ ولكنَّها لا تستخرج منهُ إلَّا بعض الإشارات، أو لا تصف منهُ إلَّا ما كان يظهر، وترى ذلك كثيرًا في الأساليب الثرية والسياقات الحية))[3].

نلحظ ذلك جليًا في استفهام التعجب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:2]؛ فالاستفهام خرج هنا لمعنى التعجب، والمناسب لهذا المعنى هنا أَنْ تكون نغمة الأداء مرتفعة صاعدة لتؤدي إلى إيصال معنى التعجب من هؤلاء الذين يكفرون باللهّ مع ما يلاحظون من الإماتة والإحياء في الأشياء وفي أنفسهم[4]؛ فيتوقف فهم المعنى في حالات كثيرة على الطريقة الصوتية (الإيقاع والتنغيم)، ومن هنا تبرز أهمية دراسة اللّغة المنطوقة والنحو التقليدي لم يميز بين اللّغة (المكتوبة) واللّغة (المنطوقة)، على حين أَنَّ لكُلّ منهما نظامًا خاصًا قد يختلف اختلافًا كبيرًا عن صاحبهِ بأَنَّ هذا النحو ركّز عنايتهُ على اللّغة (المكتوبة)، وقد ترتب على ذلك أوّلًا أَنَّهُ قدم قواعد اللّغة على أساس معياري وعلى أساس جمالي تقييمي، وهذا استعمال (عال)، وذاك (متوسط)، وثالث (قبيح)[5].

فمن الممكن الاكتفاء بنغمة مميزة تكون هي الحكم في خروج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي، كما هو الحال في التعجب مثلًا، وتجدر الإشارة - هنا - إلى أَنَّ هذهِ النغمات المقدرة من لدن المتكلم تعتمد وبدرجة مباشرة على صاحب الأداء نفسه (المتكلم)؛ فهو من يقدر هذهِ النغمة بصورة تتناسب مع ما يبتغيه من معنى، وتختلف نسبة التقدير هذهِ من متكلم إلى آخر؛ ولعل السبب في ذلك يعود إلى أَنَّ التنغيم لا يخضع لضابط معين من الممكن الاعتماد عليه في طريقة نطقية؛ فهو عادة نطقية مرتبطة باللهجات العامية؛ لذلك يكون لكُلّ متكلم طريقتهُ الخاصة في تقدير هذه النغمات.

(1) ديوان عمرو بن أبي ربيعة: 231.
(2) ينظر: من وظائف الصوت اللّغوي: 107، وأثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية (بحث): 43.
(3) دلالات التركيب: 218.
(4) أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني (بحث): 6.
(5) ينظر: من وظائف الصوت اللّغوي: 61.

2. المحذوف من أسلوب الشرط:

يخضع هذا الأسلوب في كثيرٍ من القضايا الخاصة بهِ إلى ظاهرة التنغيم؛ فقد ذكر الدكتور أحمد كشك ((أَنَّ هذا الأسلوب تتكون جملتهُ من أركان ثلاثة: الأداة، وجُملة الشرط، ثمَّ جُملة الجواب...؛ وكأنَّ الأسلوب في تنغيمهِ قسمان: الأداة والشرط معًا ثمَّ الجواب؛ لأَنَّنا حين ننطق جُملة (من يذاكر يُحقق لَهُ النجاح)؛ فإِنَّ هذه الجُملة وإِنْ قُسِّمَتْ وظيفيًا إِلى ثلاثة أركان فإِنَّها نطقًا رُكنان))[1].

فللتنغيم أثر في حذف أركان الجُملة الشرطية؛ فيأخذ التنغيم وظيفة المحذوف من التركيب النحوي؛ فمثلًا قول الشاعر[2]:

فَطلِقها فلست لها بكُفْءٍ
وإِلّا يعْلُ مُفرِقكَ الحسامُ

فالنحاة يقدرون في مثل هذه الجمل محذوفًا فقد قال الدكتور عمار ربيع في هذا الصدد: ((إِنَّ النّحاة يقدرون في مثل هذهِ الجُملة محذوفًا صورته وإِلّا تطلقها يحل مفرقك الحسام؛ ولكنَّنا إذا تأملنا في التركيب وجدنا أَنَّ القارئ لا بُدَّ لَهُ من تنغيم خاص للفظ (إِلَّا) يحمل معنى التهديد والوعيد، ويُغني عن المحذوف. لقد اعتنى هذا التلوين النغمي بـ(إِلَّا) عن التأويل بجُملة محذوفة، أدى الشرط معه مرادهُ دون الحاجة إِلى إعادة تشكيل الجُملة مع هذا المحذوف))[3].

فالمحذوف هو أصل في الجُملة قد يجري الاستغناء عنهُ، ومن ثمَّ يعوض عنهُ بالتنغيم لإحداث معنى يؤديه السياق المصحوب بالتنغيم قد يكون مغايرًا للمعنى الذي يؤديه في حالة وجود المحذوف.

3. حذف أداة النداء:

يمكن أَنْ يُعَدُّ التنغيم ضابطًا رئيسًا لتمييز أسلوب النداء، وذلك بوساطة رفع الصوت مثلًا: لإسماع جميع الموجودين، وذلك مثل: إلحاق الاسم المندوب ألف؛ للدلالة على الندبة والفجع، وقد ذكر الدكتور أحمد كشك أَنَّ أسلوب النداء لا يقتصر على الأداة وحدها؛ بل يكون الاعتماد عليها وعلى المنادى أيضًا؛ فكلمة (محمد مجتهد) مثلًا لها صفات نطقية تختلف صفاتها في قولنا: (يا محمد) على سبيل النداء؛ فحين ننادي اسم: محمد، وهو بعيد؛ فإِنَّنا نصدر صوتًا، فَأَمَّا تخلع صفة الطول على الأداة حتّى يستجيب المنادى، وإِلّا فإِنَّ الكلمة نفسها تأخذ من التطويل والمط ما يقوم مقام الأداة؛ فأقول في محمد: (محماد)، فالنغمة وحدها قرينة وعلامة على النداء[4].

فَمِمَّا ذكرهُ الدكتور كشك نستطيع القول: إِنَّهُ من الممكن أَنْ يكون التنغيم تعويضًا عن الأصل وهو أداة النداء التي تكون أحد ركني أسلوب النداء؛ فهناك العديد من النماذج التي وردت وفيها حُذفت أداة النداء وعُوِّضَ عنها بالتنغيم، وذلك بوساطة تقدير نغمة وبحسب ما يتطلّبهُ السياق؛ فمن ذلك مثلًا: قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 29]، فالمقطع الأَوّل: خطاب لرجل، والثَّاني: خطاب لامرأة، والنغم هو الذي كان فاصلًا بين الخطاب الأَوّل والخطاب الثاني، وكذلك خلا المقطع الأَوّل من أداة النداء قبل الاسم (يوسف)، والذي دَلَّ عليها بعد الحذف هو النغم[5].

(1) ينظر: المصدر نفسه: 66.
(2) ديوان ابن الأحوص: 190.
(3) التنغيم والقوانين النحوية (بحث): 117.
(4) ينظر: النحو والسياق الصوتي: 110.
(5) ينظر: دلالات الظاهرة الصوتية في القُرآن الكريم: 158.

4. النغمة المصاحبة لأسلوب الأمر:

للأمر أيضًا قرينة صوتية؛ فالنغمة التي تصاحب الأمر هي التي تميزهُ من غيرهِ، وقد يخرج أسلوب الأمر عن مغزاه الحقيقي إلى آخر مجازي؛ وذلك بوساطة تقدير نغمة تؤدي غرضًا آخر يخرج إليه هذا الأسلوب؛ فقد أوضح الدكتور طارق الجنابي أَنَّ للأمر دلالات يؤديها التنغيم تخرج عن هذهِ الأبواب، أو يتفرّع كُلّ باب منها إلى فروع شتّى؛ فالفعل (أخرج) مثلًا أو (اذهب) قد نقصد بهِ زجرًا، أو رجاءً، أو طلبًا محضًا، والنغمة هي التي توضح هذهِ المعاني[1].

فما يُذكر من خروج التراكيب إلى أساليب مختلفة أو دلالة الأداة على أكثر من معنى، واختلاف النّحاة في ذلك؛ فما يرجع إلى التنغيم ودواعي هذا الاختلاف أَنَّهم ينظرون غالبًا إلى النصّ المكتوب من دون المنطوق[2].

يتضح مِمَّا تقدّم أَنَّ التنغيم دخلَ في الاساليب النحوية واثر فيها؛ فهو طارئ على الجُملة، وكذلك فإِنَّ حدوثهُ يكون بتقدير من المتكلم؛ لأَنَّ المتكلم لَهُ أثر كبير في تحديد معنى الجُملة بوضْعها في إطارها الصوتي الملائم؛ وعلى هذا يكون التنغيم مستعملًا من لدن أَغلب اللّغات بطريقة تمييزية تفرق بين المعاني؛ إذ يمكن في بعض اللّغات أَنْ تغيّر الجُملة من خبر إلى استفهام، أو توكيد، أو انفصال[انفعال]، أو تعجب من دون تغيير في شكل الكلمات المكونة؛ فالجُملة العربيّة مثلًا: (حضر محمدٌ) صالحة لأنْ تقال بنغمات متعددة؛ فيتغيّر معناها مع كُلّ نغمة؛ فنرى أَنَّها تكون استفهامية إذا نُطقت بنغمة صاعدة من أسفل إلى أعلى، وتكون خبرية إذا نُطقت بنغمة صاعدة هابطة[3].

وعليه يمكن القول: إِنَّ التنغيم أداة تقديرية من شأنها أَنْ تؤثر في الجُملة وتغيّر دلالتها ووجهها الإعرابي؛ فأحيانًا يكون التقدير أداة من أدوات الوصول إلى معنى جديد للفظة لأَنَّ التقدير هو إعادة صياغة المفردات أو الجمل؛ بهدف تصحيح حركة إعرابية، أو بيان معنى الجُملة[4].

المبحث الثالث: أثر الفاصلة القُرآنية في بعض الموضوعات النحوية

عرفها الرماني بِأَنَّها: أصغر وحدة نطقية فهي حروف متشاكلة المقاطع الصوتية موجبة لحسن إفهام المعنى[5] حيث دلالتها على المقطع الصوتي لحرف (الروي) في نهايات الآيات، وإعطاء الكلام قيمة جمالية وطريقًا لفهم معانيه.

ويمكن تعريفها بأَنَّها: ((كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وسجيعة النثر - والتفصيل - توافق أواخر الآي في حروف الروي، أو في الوزن مِمَّا يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النفوس))[6].

وعرّفها الدكتور صلاح عبدالفتاح بأَنَّها: ((مصطلح أطلقه العلماء على آخر كلمة في الآية، وهي تقابل مصطلح القافية في الشعر، وسميت آخر كلمة فاصلة؛ لأَنَّها تفصل ما بعدها عَمَّا قبلها))[7].

وتعدّ الفاصلة القُرآنية: ((وجهًا من وجوه الإعجاز التي يقع بها إحكام بناء الآية شكلًا ومضمونًا مبنًى ومعنًى؛ فَأَمَّا لفظًا ومبنًى فإِنَّ ذلك واضح في جودة القُرآن، وسبكه، وحسن نظمه...،

(1) ينظر: قضايا صوتية في النحو العربّي (بحث): 377.
(2) ينظر: المصدر نفسه: 377.
(3) ينظر: دراسات في اللسانيات: 53.
(4) ينظر: الحذف والتقدير في النحو العربّي: 209
(5) ينظر: النكت في إعجاز القُرآن: 97.
(6) الفاصلة في القُرآن، محمد حسناوي: 29.
(7) إعجاز القُرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: 319.

وأَمَّا معنًى ومضمونًا فلارتباط المعاني في فواصل الآيات واقترانها))[1].

تُعدُّ الفاصلة القُرآنية من الخصائص الأسلوبية البارزة في القُرآن الكريم، وهي الكلمة التي تختم بها الآية فتمنحها إيقاعًا خاصًا وجمالًا صوتيًا. ولا تقف أهمية الفاصلة عند حدود النظم والإيقاع، بل تتعداه إلى الدلالة، إذ يُراعى في اختيارها المعنى المقصود في سياق الآية، فتسهم في توضيح المعاني وتقوية الدلالات، وقد تكون مفتاحًا لبيان مقصد الآية وهداياتها. من هنا تتجلى مكانة الفاصلة القُرآنية في خدمة البيان والمعنى معًا، مما يعكس جانبًا من إعجاز القُرآن في لفظه ودلالته ويمكن تناول تأثير الفاصلة القُرآنية في دلالات بعض الأساليب النحوية بالشكل الاتي:

مخالفة العلامة الإعرابية:

ويتحقق ذلك في بعض الفواصل التي ترجح الرفع على النّصب، أو العكس، النّصب على الرفع، وليس الأمر متعلّقًا بتناسب الفواصل فقط، بل لضرب من الإعجاز اللّغوي، من ذلك رفع الفعل المضارع بعد الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات:36]، قال عنها الفَرَّاء: ((نويت الفاء أَنْ يكون نسقًا على ما قبلها، وأُختير ذلك؛ لأَنَّ الآيات بالنون))[2].

قال الدكتور أحمد الشايب في هذا الخصوص بكلام الفَرَّاء المذكور آنفًا؛ وبيّنَ أَنَّهُ: ((لو رُجِّحَ الفعل فـ((قيل فيعتذروا لم يوافق الآيات))[3].

والحقيقة أَنَّ هذا التناسب ليس اضطراريًا، بل إِنَّ للمعاني في ذلك أثرًا في ذلك؛ إذ ذكر الزمخشري قوله: ((لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها، إِلَّا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه))[4].

فمن الممكن أَنْ يأتي الفعل مرفوعًا، وكان حقه الجزم، كقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: 111]، ذكر في هذه الآية الكريمة الدكتور السيد خضر أَنّ الفاصلة كانت سببًا في مخالفة الإطراد الإعرابي؛ إذ جاء الفعل بصيغة الرفع من أجل تحقيق الإيقاع مع ما سبقه من فواصل[5].

وقد نبّه الزمخشري على لطائف بلاغية بديعة؛ إذ قال: ((لو جزم لكان نفي النصر مقيدًا بمقاتليهم، كتولية الإدبار، وحين رفع كان نفي النصر وعدًا مطلقًا))[6].

نستطيع أَنْ نقول إِنَّ هناك تأثيرًا صوتيًا للفاصلة من شأنه أَنْ يحدث تغييرات في معاني بعض الألفاظ، وعلى النحو الآتي:

1. الحذف مراعاة للفاصلة:

قد تُحذف كلمة، أو أكثر، أو جزء من الكلمة؛ لتحقيق الانسجام الصوتي في مبنى الفواصل القُرآنية؛ تبعًا للانسجام المعنويّ الدلالي.

أ. حذف كلمة:

لكُلّ كلمة في الجُملة وظيفة نحويّة تؤديها، إِلَّا أَنَّهُ قد يُضحّى بهذه الكلمة؛ من أَجل التناسق الصوتي، وهذا كثير في السجع، أَمّا في الآيات القُرآنية فينتج عن الحذف لطائف بلاغية عالية، ومن أمثلة الحذف في الفواصل القُرآنية حذف الفاعل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ نُطْفَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة: 38]؛ إذ ذهبت الدكتورة جليلة

(1) الفاصلة في السياق القُرآني (سورة مريم أنموذجًا): 5.
(2) معاني القُرآن: 266/ 3.
(3) فواصل القُرآن عند الفَرَّاء (بحث): 428.
(4) نقله عن السيوطيّ في: الإتقان في علوم القُرآن: 359 / 3.
(5) ينظر: الفواصل القُرآنية دراسة بلاغية: 9.
(6) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 401/ 1.

صالح إلى القول إنَّ: ((الأفعال (خلق) (سوى) حذف فاعلها، وهو لفظ الجلالة؛ مراعاة للفاصلة، وحفاظًا على صلادة التنغيم الذي يقوم به الإيقاع الموسيقي للآيات المباركة، ثمَّ حذف لصرف انتباه المتلقي إلى أَنَّ الخالق واحد هو الله سبحانه))[1].

وحذف الفاعل لَهُ مردود صوتي تمثل بانتظام النغمة، والإيقاع الموسيقي الذي يتأتى من تناسب الألفاظ، وما تحويه من مقاطع صوتية من شأنها أَنْ تضفي مدلولات صوتية ودلالية في مبنى الفاصلة القُرآنية[2].

ومن صور التناسب من أَجل الفاصلة القُرآنية ما يكون بحذف المفعول به، كما في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: 3]، ذهب الدكتور أيمن غبّاش إلى أَنَّ الأصل: (قلاكَ)؛ فحُذِفَ الكاف ضمير المفعول؛ مراعاة للفاصلة[3].

وقد ذكرت الدكتورة عائشة عبدالرحمن أَنْ تعليل الحذف؛ كان على أساس، دلالي وبلاغي، وهو هنا: ((الحذف لدلالة ما قبله على المحذوف، وتقتضيه حساسية معنوية مرهفة بالغة الدقة في اللطف والإيناس، وهي تماشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى في مقام الإيناس: ما قلاك؛ لما في القلي من الطرد، والإبعاد، وشدة البغض))[4]؛ فحذف المفعول: (الكاف) من جهتين، الأولى: صوتية؛ لمراعاة الفاصلة، والثانية: بلاغية؛ لئلا تلتصق دلالة القلي (البغض الشديد والإبعاد) بمن يعود عليه هذا الضمير، وهو حبيبنا مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ وبهذا يتضح أَنَّ التفاعل الصوتي النحوي كان حاضرًا في مبنى الفاصلة القُرآنية.

2. حذف صوت الإعراب من الكلمة:

قد يحذف من أصوات الفاصلة القُرآنية من غير التأثر بعامل الرفع، والنصب، والجرّ، والجزم، من ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر:4]، يكثر في مثل هذا النوع من الحذف في صوت الياء؛ نظرًا إلى بقاء الكسرة التي قبلها لا للدلالة عليها[5].

وذهب الدكتور أحمد كشك إلى أَنَّ حذف لام الفعل (يسري) من دون جزم في قوله تعالى:: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ ((لا مبرر للحذف هنا من الناحية النحويّة، وما تَمَّ الحذف إلَّا للحفاظ على التناسب الصوتي والنماذج التي تؤكد التضحية بقيم لغوية؛ للحفاظ على قيمة صوتية كبيرة، وهي تؤكد بوضوح لا يرقى إليه الشكّ أَنَّ الأساس الصوتي حاكم يمكن الاعتماد عليه في توضيح قضايا لغتنا مهما كان فرعها))[6].

فحذف صوت الياء في هذا الموضع ومثائله كما يرى الدكتور كاصد الياسري لكي ((تلحق التناسق الموسيقي بينها وبين الفواصل التي تقدمتها والفواصل التي تلتها؛ إذ إِنَّ مبنى الفواصل على الوقف وبقاء الياء يفوّت هذا التناسق))[7].

يتضح أَنَّ حذف الصوت لَهُ قيم بلاغية جمالية، على الرغم من فاعليته في الإعراب.

3. الزيادة مراعاة للفاصلة:

عندما يحذف صوت معين بسبب وجود الفاصلة فمن الممكن أن يزاد صوت لنفس السبب،

(1) الجُملة القُرآنية (دراسة تحليلية في البنية والمصطلح) (بحث): 411.
(2) ينظر: التفاعل الصوتي النحوي في البحث اللغوي الحديث (رسالة ماجستير): 152
(3) ينظر: الصور اللّغوية لظاهرة مراعاة تناسب الفواصل القُرآنية (بحث): 19.
(4) التفسير البياني للقُرآن الكريم: 35.
(5) ينظر: معاني القُرآن: 149/ 3.
(6) من وظائف الصوت اللّغوي: 20.
(7) الجرس والإيقاع في تعبير القُرآن (بحث): 358.

وعدّها الباحث عبدالكريم حاقة من أوجه الخروج عن الأصل؛ لمراعاة الفواصل؛ فقال: ((زيادة حرف مثل ألف الإطلاق، وهاء السكت، فألف الإطلاق مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:10]، وهاء السكت في قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: 19][1]، ولا شكَّ أَنَّ الزيادة لها أسبابها التي وضعت من أجلها؛ لذا نجد الدكتور محمد رمضان قد علّلَ زيادة بعض الأصوات في الفواصل القُرآنية، كالهاء على النحو الآتي: ((تجد أَنَّهُ يؤتى بها أيضًا لتعويض بعض الكلمات عن الحروف التي حذفت منها صرفية، أو صوتية، أو نحوية، ويمكننا القول: إِنَّ التجارب العربيّة لإثبات هاء السكت في بعض الكلمات إِنَّما هو نتيجة من نتائج الحرص على بيان الحركة في الحرف الموقوف عليه، إضافة إِلى التوافق الصوتي مع موسيقى الفواصل القُرآنية قبلها وبعدها))[2].

وعلّلَ النّحاة هذه الزيادة بعدة مذاهب فقد ذهب سيبويه ذهب إِلى أَنَّ إلحاق أصوات المدّ إِنَّما هو للترنم[3]، وذهب النّحاس إِلى أَنَّ إثبات هذه الأصوات ليتوافق الكلام[4]؛ أي لرعاية الفواصل؛ فهذه الزيادة ليست اعتباطية، وإِنَّما جاءت لتدل على معنى يناسب هذا المشهد لا سيما زيادة الهاء والتي تدل على التعب والإعياء في مشاهد يوم القيامة.

الخاتمة والنتائج:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين مُحَمَّد (صلى الله عليه وسلم) فقد توصل البحث الى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها بالآتي:

1. كشف البحث أن التنعيم ظاهرة صوتية لها امتداد دلالي ونحوي في النص القُرآني، إذ يسهم في إبراز العلاقات التركيبية بين الجمل والعبارات، ويعمل على تيسير الانتقال بين المعاني، مما ينعكس على بنية الجملة ويضفي عليها سلاسة واتساقًا.

2. اتضح أن الوقف القُرآني لا يقتصر على كونه ظاهرة تجويدية صوتية، بل يؤدي وظيفة نحوية بارزة، إذ يُساعد في توضيح حدود التراكيب، ويفصل بين المعاني المتعددة، مما يمنع اللبس النحوي والدلالي، ويحدد مواقع الإعراب بدقة، الأمر الذي يُعدّ مظهرًا من مظاهر الإعجاز البياني في القُرآن الكريم.

3. أما الفاصلة القُرآنية، فقد ظهر من خلال الدراسة أنَّ لها عملا مزدوجًا: إيقاعيًا ونحويًا، فهي من ناحية تؤدي وظيفة موسيقية صوتية في ختام الآيات، ومن ناحية أخرى تؤثر في توزيع الجمل القُرآنية وتركيبها، فتكون أحيانًا سببًا لتقديم أو تأخير في الأسلوب النحوي من أجل تحقيق الانسجام الصوتي.

4. أكدت الدراسة في ضوء علم اللغة الحديث (علم الأصوات والنحو الوظيفي) أن هذه الظواهر الصوتية (التنعيم والوقف والفاصلة) تدخل في شبكة العلاقات البنيوية للنص، فلا يمكن فصل الأداء الصوتي عن النظام النحوي، إذ يُسهم الأداء الصوتي في تحقيق المقاصد النحوية والدلالية على

---

(1) الفاصلة في الجزء الأخير من القُرآن الكريم دراسة صوتية دلالية (رسالة ماجستير): 33.

(2) دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عمّ – دراسة تحليلية (بحث): 25.

(3) ينظر: الكتاب: 204/ 4.

(4) ينظر: إعراب القُرآن: 209/ 3.

حد سواء.

5. أبرز البحث أن هذه الظواهر تمثل عنصرًا مهمًا في فهم النص القُرآني وتفسيره، إذ إن كثيرًا من معاني الآيات تتوقف على الوقف المناسب أو على التنعيم الذي يهيئ المعنى في السياق، ما يدل على أن علم النحو في القُرآن لا يُدرس بعيدًا عن هذه الظواهر الصوتية

6. بيّنت الدراسة أن علم اللغة الحديث يمكن أن يضيف أفقًا تحليليًا أوسع لفهم هذه الظواهر، من خلال الربط بين الصوت والنحو في إطار المنهج التكاملي، مما يعزز تفسير التراكيب القُرآنية ويكشف عن انسجامها الداخلي.

المصادر والمراجع:

- **القُرآن الكريم.**
1. الإتقان في علوم القُرآن، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدِّين السيوطيّ (ت911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 1974م.
2. الأصوات اللّغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة النهضة ومطبعتها، مصر، د.ط، د.ت
3. إعجاز القُرآن البيان ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط1، 2000م.
4. التبيان في إعراب القُرآن، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبريّ (ت616هـ)، تحقيق: علي محمد النجار، عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ط، د.ت
5. التذكرة في القراءات، الشّيخ أبي الحسن ظاهر بن عبدالمنعم بن غلبون (ت399هـ)، علّق عليه: سعيد صالح زعيمة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2001م
6. التفسير البياني للقُرآن الكريم، عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، ط7، 1990م.
7. التفكير اللّغوي بين القديم والجديد، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2006م
8. التنغيم والقوانين النحوية، عمار ربيح، مجلة كليّة الآداب واللغات، العدد21، 2017م.
9. الجرس والإيقاع في تعبير القُرآن، د. كاصد ياسر حسين، مجلة جامعة الموصل، كليّة آداب الرافدين، العدد التاسع، أيلول 1978م.
10. الجُملة القُرآنية في (دراسة تحليلية في البنية والمصطلح)، جليلة صالح العلاق، دراسات نجفية، كليّة التربية، جامعة الكوفة، العدد الثالث، 2004م.
11. الحذف والتقدير في النحو العربيّ، د. علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2006م.
12. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّيّ (ت392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، د.ت.
13. دراسات في اللسانيات العربيّة، عبدالحميد السيد، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2004م.
14. دراسة الصوت اللّغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، د.ط، 1997م.
15. دراسة صوتية تحليلية لحرف الإعراب وحركته في العربيّة، د. سلمان بن رجاء السحيمي، دار البخاري للنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ.
16. دلالات التركيب دراسة بلاغية، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، 1987م.

17. دلالات الظاهرة الصوتية في القُرآن الكريم، خالد بني دومي، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، د.ط، 2006م.
18. دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء (عَمَّ) دراسة تحليلية، محمد رمضان محمود، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، 31 ديسمبر 2009م.
19. ديوان ابن الأحوص، عبدالله بن محمد بن عبدالله الأنصاريّ (ت105هـ)، عالم الكتب، ط1، 2001م.
20. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ط، 1983م.
21. ديوان عمر بن أبي ربيعة، عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: فايز محمد، دار الكتاب العربيّ، ط2، 1996م.
22. الصور اللّغوية لظاهرة مراعاة تناسب الفواصل القُرآنية، مجلة مركز الخدمة للاستشارات لكلية الآداب، جامعة المنوفية، مصر، العدد الأوّل، 2012م.
23. الفاصلة في الجزء الأخير من القُرآن الكريم دراسة صوتية دلالية، عبدالكريم حاقة، رسالة ماجستير، بإشراف: د. محمد خان، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2009م.
24. الفاصلة في القُرآن، محمد حسناوي، دار عمار، عمان، ط2، 2000م.
25. الفواصل القُرآنية دراسة بلاغية، السيد خضر، مكتبة الإيمان، ط1، 2000م.
26. في النحو العربي: نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي- بيروت، ط2، 1986م.
27. قضايا صوتية في النحو العربيّ طارق عبد عون الجنابي، مجلة المجمع العلميّ العراقيّ، الجزءان الثاني والثالث، المجلد الثالث والثمانون، بغداد، حزيران، 1987م.
28. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جارالله (ت538هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط3، 1407هـ.
29. المحيط في اللّغة، الصاحب إسماعيل بن عباد (ت385هـ)، تحقيق: الشّيخ محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب، ط1، 1994م.
30. المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1985م
31. معاني القراءات، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت370هـ)، مركز البحوث في كليّة الآداب، جامعة الملك سعود، ط1، 1998م
32. معاني القُرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزّجاج (ت311هـ)، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1998م.
33. مناهج البحث في اللّغة، د. تمام حَسّان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، 1991م.
34. النحو والسياق الصوتي، د. أحمد كشك، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م
35. النشر في القراءات العشر، شمس الدِّين أبو الخير بن الجزري (ت833هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (ت1380هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، دار الكتاب العلميّة، د.ط، د.ت.
36. النكت في إعجاز القُرآن، علي بن عيسى بن علي المعروف بالرماني، تحقيق: محمد خلف الله

ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، 1976م.
37. نهاية القول المفيد في علم تجويد القُرآن المجيد، محمد مكي الجريسي، دققهُ: أحمد علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط4، 2011م.
38. الوقف ووظائفه عند النحويين، د. محمد خليل نصر الله، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، 2001م.